ما غيب عن القلب ولا عن عيني ما بينكم وبينها من بين
يقتضي المغايرة وان المخاطب غير المخاطب وان الخاطب له عين وقلب
لا يغيب عنهما المخاطب بل يشهده القلب والعين والشاهد غير المشهود
وقوله ما بينكم وبينها من بين فيه اثبات ضمير المتكلم وضمير المخاطب وهذا
اثنان لا تباين وان قالوا هذه مظاهر ومجالي قيل فان كان المظاهر
والمجالي غير الظاهر المتجلي فقد نفيت التشبيه وبطلت الوحدة وان
كان هو اياه فقد بطل التعدد فالجمع بينهما متناقض وقول القائل

فارق ظلام الطبع وكن متحدا بالله والا فكل دعواك محال

ان اراد به الاتحاد المطلق فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع
وهو المخاطب بقوله وكن متحدا بالله وهو المخاطب بقوله كل دعواك
وفي ذلك من التناقض ما لا يخفا وان اراد الاتحاد المقيد فهو ممتنع
لان الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كان بعد الاتحاد اثنين كما كانا
قبل الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد وان كانا استحالا الى شيء
ثالث كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك فما يشبه
النصارى هذا قولهم في الاتحاد لزم من ذلك ان يكون الخالق قد
استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد بغيره فانه لا بد ان يستحيل
وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه لان الاستحالة تقتضي عدم
ما كان موجودا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته
اللازمة له ممتنع العدم على شيء من ذلك ولان صفات الرب اللازمة
له صفات كمال فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه ولان اتحاد
المخلوق بالخالق يقتضي ان العبد يتصف بالصفات القديمة اللازمة
لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فان العبد
يلزمه الحدوث والافتقار والذل والرب تعالى يلزمه القدم
والغنى والعزة وهو سبحانه الغني بنفسه ليستحيل عليه نقيض ذلك
فاتحاد احدهما بالآخر يقتضي ان يكون الرب متصفا بنقيض

صفاته

صفاته من الحدوث والفقر والذل والعبد بنقيض صفاته من القدم والغنى
الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع وبسط هذا يطول ولهذا سئل الجنيد
عن التوحيد فقال التوحيد افراد الحدوث عن القدم ولهذا اتفق ائمة
المسلمين على ان الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته
ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد ان كل من في
السموات والأرض الا اتي الرحمن عبدا الى آخر الآية فان كان المتكلم
بهذا البيت اراد الاتحاد الوصفي وهو ان يحب العبد ما احب الله ويبغض
ما يبغضه الله ويرضى ما يرضى الله ويغضب لما يغضب الله ويأمر بما
يأمر الله وينهى عما ينهى الله عنه ويوالي من يواليه الله ويعادي من يعاديه
الله ويحب لله ويبغض لله ويعطي لله ويمنع لله بحيث يكون موافقا
لربه تعالى فهذا المعنى حق وهو حقيقة الايمان وكماله كما في الحديث
الذي رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي
عبدي بمثل ادى ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي
ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن
شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له منه وهذا الحديث يحتج به اهل الوحدة
وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة منها انه قال من عادى لي وليا
فقد بارزني بالمحاربة فاثبت نفسه وليه ومعادي وليه وهؤلاء
ثلاثة ثم قال وما تقرب الي عبدي بمثل ادى ما افترضت عليه ولا
يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها فاثبت عبدا يتقرب اليه بالفرائض ثم بالنوافل

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)